الآداب
المجلد:22، العـــدد:01، ديسمبر 2022
الصفحات: 120-137 ISSN1111 –4908 EISSN2588 –2228

من أجناس البلاغة الجديدة / الحجاج ونظريّة المُساءَلة مع ميشال ماييِر، الحجاج اللغوي مع ديكرو وأونسكومبر

Of the new rhetoric patterns (Argumentation and the Theory of Questioning with Michel Meyer, The Linguistic Argumentation with Oswald Ducrot and Anscombre J.C)

ط.د. فضلي لعجال [1]

د. خجدم فاطمة [2]

[1] جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر، l.fadli@lagh-univ.dz

[2] جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر، djokhdemfatima@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022/06/13 تاريخ القبول: 2022/11/03 تاريخ النشر: 2022/12/15

ملخص:

قامت البلاغة الجديدة منتصف القرن الماضي –مع عالِم المنطق البلجيكي شاييم بيرلمان– على قراءة التراث البلاغيّ الغربيّ وإعادةِ إبراز الحجاج الأرسطي في ثوب جديد، وقد غلبت عليها الأبعاد المقاميّة التداوليّة، لكنّ البلاغة الجديدة بعد ذلك تَدعّمت بنوعين حجاجيَّين آخرين هما: الحجاج القائم على نظريّة المُساءَلة مع الفيلسوف ميشال ماييِر، والحجاج اللغويّ الذي يقول إنّ الحجاج مُسجَّل في بنية اللغة نفسها وذلك مع اللساني الفرنسي ديكرو وشريكه أونسكومبر، وفي هذا البحث شرحٌ لهذين الحجاجين اللذَين تدعّمت بهما البلاغة الجديدة لنعرف خصائصهما وما أضافاه إلى علم الحجاج.

كلمات مفتاحية: البلاغة جديدة؛ حجاج؛ نظرية المساءلة؛ تداولية.

Abstract:

The new Rhetoric was established in the Middle of the last Century - with the scholar in logic Chaim Perelman - on reading the Western Rhetorical Heritage and re-highlighting the Aristotelian argumentation in a new look. This new rhetoric which was hindered by Pragmatics dimensions was later consolidated by two types of argumentation: the argumentation based on the theory of questioning by the philosopher Michel Meyer, and the linguistic argumentation that presupposes that argumentation is shown in the Structure of the Language itself, as presented by the French Linguist Oswald Ducrot and his partner Anscombre J.C. In this research, we give an explanation of these two Argumentations which

المؤلف المراسل: فضلي لعجال.

strengthened the new Rhetoric to know their characteristics and what they added to the science of argumentation.
Keywords: *New rhetoric; Argumentation; theory of questioning; pragmatics.*

مقدمة:

تمحورت البلاغة الغربية في أغلبها حول الحجاجِ وأساليب الإقناع، وقد انطلقت هذه البلاغة في بدايتها في اليونان مع خَطابةِ السُّفسطائيين[1] وقد كان هؤلاء لا يؤمنون بالحقيقة المطلقة التي تفرض نفسها، بل يرون أن الحقيقة مهما كانت قوية فإنها نسبيّة في الأخير، فكان التنظير للبلاغة وتعليمها قائمان على هذا الأساس، وجعلوا هدف البلاغة هو الإقناع بالحقيقة النّسبيّة التي يراها كل مُحاجج من جهته، فاتجهوا إلى احتراف آليَّاتِ الإقناع المُحكمة على حساب الحقيقة المطلقة، وقد جعلَ ذلك خَطابَتهم وصوليّة لا تهتم كثيرا بشرف الوسيلة الإقناعية ولا بالقيم والأخلاق، ثم ظهرت بلاغةٌ ضديدةٌ للخطابة السُّفسطائيَّة وهي الجدل الأفلاطونيّ، حيث كان أفلاطون ذا فلسفةٍ مثاليّة محاربا للسَّفسطة ويؤمن بالحقيقة المطلقة ويحارب الوصوليَّة ويقدِّس القيم والأخلاق[2]، ثم جاءت الخطابة الأرسطيَّة التي جمعت محاسن البلاغتين السابقتين وتركت مساوِئهما، ونظَّر فيها أرسطو لبلاغةٍ خاصّةٍ في كتابٍ مفصَّل، مستمَدٍّ من الواقع الأثيني والتَّخاطبات الحاصلة في محافله، وذلك بمنهجٍ علميّ محكم، ثمّ ثبَتت البلاغة في عمومها على النموذج الأرسطي طيلة قرون حتى جاء عالم المنطق البلجيكي شاييم بيرلمان (Ch.PERELMAN)[3] في منتصف القرن العشرين، الذي استوعب التراث البلاغيّ الغربي وغربله ونسَّقه وأضاف إليه، وقدّمه في ثوب جديد يتوافق مع روح العصر الحديث، فظهرت بذلك البلاغة الجديدة على يديه سنة 1958 في كتاب (مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة) لكن بلاغته في الأغلب لم تخرج في نمطها عن البلاغة الأرسطيَّة من جهة أنّ حُججها طبيعيّة مستمَدّة من أحداث الواقع وذات أبعاد تداولية واضحة، لكن الحجاج بعد ذلك لم يقتصر على هذا النمط فقد ظهر نمطان مختلفان بعده، واحد على يد تلميذه ميشال مايير (Michel Meyer)[4] الذي ينطلق من الفلسفة ويقوم على نظرّية المساءلة، والنمط الثاني على يد ديكرو (Oswald Ducrot)[5] وزميله أنسكومبر (Anscombre J.C) الذي ينطلق من فكرة أن

الحجاج متضمَّنٌ في البِنية اللغوية للكلام نفسها، فما هذان النمطان الحجاجيان؟ وما هي أوجه التشابه والاختلاف بينهما من جهة، وما هي ملامح التجديد والإضافة فيهما من جهة أخرى، قياسا إلى بلاغة شاييم برلمان التي تُعتبر وريثة ومجددة للبلاغة الأرسطية، وسيكون هدفنا من هذا المقال هو معالجة هذه الإشكالية والإجابة عن تساؤلاتها. ومن البحوث السابقة في هذا المجال نجد بحثا تحت عنوان (حجاجية المجاز وفق نظرية المساءلة) وقد ركزت على السؤال وخَلقِه للمجاز ثمّ استعمال المجاز في الإقناع، وبحثا تحت عنوان (حجاجية السؤال بين نظرية المساءلة لمايير والتراث البلاغي العربي) وبحثا تحت عنوان (البعد المعرفي لنظرية المساءلة) إلا أن بحثنا ينماز عنها بكونه توضيحا لجانب مهم من التطور الابستيمولوجي للبلاغة الإقناعية الغربية، فضلا عن المقارنة بين بعض الأنماط البلاغية الغربية وتقديمها في شكل بسيط.

1. الحجاج ونظرية المساءلة عند ميشال مايير:

1.1 خلفيَّة نظريَّة المُساءَلَة:

انطلق ميشال مايير من اعتقاده بوقوع العقل والفكر الغربي في أزمةٍ ومحاصَرة، بعد طغيان الفكر المادي عليه وبُعدهِ عن إنسانية الإنسان من أثَر أفكار ماركس وفرويد ونيتشه، وقد كان ميشال مايير مُؤتمًّا بعبارة ديكارت التي تقول " أنا أفكر فأنا موجود " والتي تربط التفكير بالتّحقّق من وجود الذَّات والإحساس بالإنسانية، والتفكير عند مايير ينطلق من التساؤلات لذلك يتقرَّر عنده أنه كلما زاد التساؤل زاد التفكير، وكلما زاد التفكير زاد الإحساس بالذات وتدعَّمت الإنسانية وتلاشت المادية في الإنسان، وصرنا أقرب إلى روح الفلسفة الحقيقية الأولى التي قامت على التساؤل[6].

لذلك رأى أن الخروج من هذه الأزمة يكون باستثارة التساؤلات والعودة عن طريقها إلى روح الفلسفة وآليَّتِها الأولى، ثم وظَّفَ مايير هذه التساؤلات في معالجة مبحثٍ بلاغي بمنطلقات فلسفية، وجاء بنظرية المُساءلة في البلاغة، وبهذا يَظهر أن نظرية "المساءلة" نتجت في مشروعٍ تُقدِّم فيه البلاغة خدمة للفلسفة، وأن نظرية مايير فلسفية أكثر منها بلاغية[7]، وقد رجع مايير فِي ذلك إلى أفكار الفلاسفة اليونانيين، كما رجع إليها بيرلمان في مباحثه البلاغية التداولية أيضا.

2.1 السؤال عند الفلاسفة اليونان:

1.2.1 السؤال عند سقراط:

يقول مايير إن السؤال عند سقراط بلغ مرحلةً حاسمة رأى فيها أن التَّفلسف هو المُساءلة، وأن الجواب هو مستوى ظاهرٌ فقط للسؤال تختفي تحته مستوياتٌ عديدة، وأن الأسئلة التي يطرحها سقراط لا تكون من أجل تحصيل الإجابة الظاهرة فقط، بل لاكتشاف الأجوبة المحتمَلة والمتوهَّمة وحتى الخاطئة، ويركِّز على السؤال لأنه هو المستفِزُّ للإجابة وتابَعه ميشال مايير في ذلك[8].

2.2.1 السؤال عند أفلاطون:

أفلاطون كان يركز على الإجابة لأنه كان يبحث عن الحقيقة العقليّة المطلقة –باعتباره مثاليًّا كما قلنا– لذلك ركز على الأجوبة لتحصيل الحقيقة، وليس على طرح الأسئلة[9].

3.2.1 السؤال عند أرسطو:

أرسطو لم يكن مع سقراط ولا مع أفلاطون، وجعل السؤال تابعا للجدل ووجها من وجوهه المتعددة[10]، لأن الجدل هو مبحث فكري نُخبوي يتّخذ غالبا بنيةً تساؤليَّة، حيث يجتهد المجيب في الإثبات ويجتهد السَّائل في النَّقض[11].

3.1 مرتكَز نظرية المُساءلة:

حاول مايير أن يبدأ من جديد بإعادة التَّفكير في معنى مكوِّنات الخطاب الحجاجي الثَّلاثة التي قال بها أرسطو التي هي[12]:

(الإيتوس) : الخطيبُ وقِيَمُه وأخلاقُه والجانب المقنع من شخصيَّته.

(اللغوس) : لغة الخطاب وإقناعيّته والحُجج والأدلّة المطروحة فيه.

(الباتوس) : السَّامعون وأهواؤهم وأحوالهم، وما يساعد من ذلك على اقتناعهم.

ولميشال مايير نظرة جديدة إلى (اللُّوغس) فقد عرَّفه بأنه: كلام العقلِ الذي يدرك نفسَهُ في كل مداه واتّساعه ... وأنّه العقل المتكلِّم، ويعتقد أن التفكير في الكلام بمنزلة السؤال التأسيسي الذي لا يعتمد المعطيات القبْليّة[13]، معناه أن المحاجِجَ عند مايير يتكلم بما يستفز العقل ويحمله

على التساؤل، حتى يستنبط الحُجج بنفسه ويقتنعَ دون مناقشة حجج قبليَّة خارجية[14]، أي (أن الحجاج عنده يقوم على استعمال الكلام الحامل لقُدرة الفكرة على المُساءلة)[15] والتفكير للوصول إلى الجواب والنتيجة[16].

وحينما نرجع إلى حِجاج أستاذه بيرلمان نجده يقوم على توجيه حُجج موجودة من قبل، خارجيّة عن النّفس عبر مخاطبة العقل، فنستنتجُ من ذلك أنهما يتَّفقان في عدم الإقناع بالعاطفة والإكراه العقليّ كما ساد في البلاغة القديمة، وأن **كِليهما يتعامل مع العقل**، لكن بيرلمان **يحاجِجُه بالخطاب المباشر** وميشال مايير يخاطبه بما **يستفزُّهُ ليصنع الحُجَّة** بنفسه.

بعد السؤال يمكن أن نحصل على جواب، لكن (الجواب لا يعوِّض السؤال أو يقتله لأنها أجوبة غير محدودة يستفزها سؤال واحد)[17]، ومثل ذلك ما نجده من آياتٍ قرآنية مازالت تمثل سؤالا للمفسيرين المجتهدين فيها إلى اليوم، رغم وجود عديد التفسيرات الصحيحة لها.

إن الفرق بين السؤال والجواب باعتبارهما ظاهرتين تأسيسيتين للكلام، ليس مسألة بناءٍ نحويّ، لأن السؤال لا تَبنِيهِ أو تكوِّنه العناصر النحوية مثل: أداة الاستفهام أو التركيب الاستفهامي، بل المعيار في تمييزه ومعرفته هو **استفزازُ الخطابِ**، فما استفزَّ الخطابَ كان سؤالا وغيره ليس كذلك، لهذا اعتبَر مايير أنَّ اللغويين لم يُعرِّفوا السؤال لأنَّه خارج تخصصهم أصلا، ويُعرِّف هو السؤال بأنَّه "حاجز أو صعوبة أو ضرورةُ اختيارٍ لإجابة – مهما كان نوع الإجابة في صدقها وهدفها ومفرداتها وأسلوبها ومقدماتها[18]– وهو بالتّالي نداء إلى اتخاذ قرار"[19].

4.1 الحجاج والبلاغة:

ينطلق مايير من أنَّ السؤال يثير نقاشا يَنجم عنه الحجاج، والحجاج يشمل كلَّ أنواع الخطاب سواء كان منطوقا أم مكتوبا، أدبيا أم سياسيا ... والحجاج عنده متعلِّق بالمُساءَلة، ويستعمل مفهومين أساسيَّين في عملية الحجاج هما: (المصرح به والضِّمني)[20] فالمصرح به هو السؤال، والضِّمني هو الجواب[21]، وقد جعل الجواب في القول الضَّمنيِّ لأنَّه ليس ظاهرا ومحقَّقا في حالة واحدة بل هو مختفٍ في احتمالاته المتعددة[22].

أمَّا البلاغة فيُعرفها ميشال مايير بقوله: "هي مفاوضةٌ في المسافة القائمة بين الأشخاص حول مسألة أو مشكلة ما "[23] والمقصود هو أنَّ البلاغة تجعل الطَّرفين يقبلان فكرةَ تقريب موقفَيهما على الأقل إن لم يتطابقا، ومصطلح (**المفاوضة**) عند مايير يحمل معنى التَّدرُّج في الطموح الإقناعي، كأنه يقول: فما لا يُدرك كلُّهُ لا يُترك جلُّهُ، وإن لم يكن أَعظمُ الرِّبح فأقلُّ الخسارة، وهكذا ... وهذا التدرج في الطُّموح الإقناعي نفسه موجود عند بيرلمان، ونلاحظ ذلك حينما نرجع إلى مفهومه للحجاج عنده حيث يعتبره درْسَ تقنيات الخطابِ التي تؤدِّي بالأذهان إلى **التَّزحزح** قليلا عن موقف ما أو **التَّسليم** بِمَا يُعرَضُ عليها من طرحٍ، أو **تزيدُ في درجةِ التَّسليمِ**، أو **تُحرّكُ السَّامعَ** إلى إنجاز مطلوب[24].

ولهذه المفاوضة عند مايير شكلان إقناعيان هما: بنية الصورة البلاغية والعلاقات الخِطابية.

1.4.1 بنية الصورة البلاغية:

يَعتبر مايير الصورة البلاغية قادحة للخيال مُعبّرة عن الأهواء الإنسانية، والمجاز فيها يؤدي دورا مهمّا، لأنه يُنشئ المعنى ويصدم الخصم وهو طريقة للتعبير عن الانفعالات المختلفة التي هي صورة من صور الإنسان مثلما هو المجاز صورة من صور الأسلوب، وهذا المستوى يدخل ضِمن نظرية المُساءلة لأن الصورة البلاغية تثير وتطرحُ سؤالا وتكون الإجابة عنه بتجاوز (اللفظِ الحاملِ و(المعنى الأول) ثم يكون بعد ذلك الجواب بحدِّ ذاته سؤالا، لأنه يُحدِّد وجها واحدا فقط للإجابة، ثمَّ تبقى الأوجهُ الأخرى متعلِّقة بأسئلةٍ جديدة تُطرح[25] وهكذا، ونضربُ مثالا للصورة البلاغية في ظلّ نظرية المساءلة بهذا التشبيه:

عامرٌ أسدٌ[26].

فإن عرفنا مباشرة أن (عامرًا إنسان، والأسد حيوان) فسينطلق سؤال من هذه الصورة قائلا ما العلاقة بين عامرٍ والأسد هنا؟ فيأتي الجواب: هي علاقة تشابه، بعدها ينطلقُ السؤال أيضا قائلا: هل هو تشابهٌ في الشَّجاعة أم في القوة أم في الخطر والشَّر؟ وبعدها يأتي الجواب أيضا: هو تشابهٌ في الشجاعة، فينطلق السؤال مجددا قائلا: هل هي شجاعة أدبية أم حربية أم في قول الحق؟ فإن كانت الأولى فأسئلةٌ أخرى وإن كانت الثَّانية فمثلُ ذلك، وهكذا[27].

وهو يرى أنَّ هذه الصُّور البلاغية تهدف إلى إبراز حضورٍ ما أو توكيده أو تلطيفه، كما قد تجلو هذه الصُّور للعيان ما قد نعتبرهُ غير مفيد[28] أي أنَّ استعمال الصُّور البلاغيَّة من تمثيلٍ واستعارةٍ ينقل القضايا الذّهنية المعنوية إلى العالم المحسوس، والغائبَ إلى الحضور فنَقتَنِع بها أكثر، ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَلَم تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصلُهَا ثَابِتٌ وَفَرعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ **[الرعد: 24]** والكلمة الطيبة هي (لا إله إلا الله)[29] ونجد لها بنيتين:

بنية أولى: معنويَّةٌ وهي قوَّةٌ وطيبةُ وعزَّةُ كلمةِ الحقِّ (لا إله إلا الله).

بنية ثانية: ملموسةٌ وهي شجرةُ نخلٍ طيّبةِ الثَّمَر، شامخةُ الرأس، قويَّة الأصل لا تنقلعُ بسهولة.

والمقارنة بين البنيتين تعطي الأثر الحجاجيَّ الفلسفيَّ الذي ذكرَهُ مايير.

2.4.1 العلاقات الخِطابية:

يستعمل ميشال مايير وسائل الاستمالة ومكوِّنات الخطاب الحجاجيّ الثَّلاث كالتي سبق ذكرها عند أرسطو (الإيتوس: أخلاق الخطيب) و(اللغوس: إقناعية الخطاب وحُجَجُهُ) و(الباتوس: عواطف وانفعالات السامعين)[30] والجمهور أو السَّامع عند أرسطو ساذجٌ أو مجرَّد مُتلقٍّ ليس له دورٌ كبيرٌ في الحجاج سوى أن يكون محلَّ المحاججة، وبذلك لم يكن الجمهور عند أرسطو فاعلا في الخطاب، عكس مايير الذي يرى العناصر الثلاث على القدر نفسه، فهي متساويةٌ لا يهيمن أحدٌ وحدَهُ منها على الخطاب، ويركز على العلاقة الثنائية بين المتكلم والسَّامع حول مسألة ما، فإذا كان الإيتوس بأخلاقه يمثِّل خزّان الإجابات فإنَّ الباتوس مع عواطفه يمثِّل منبع الأسئلة ومنطلق المُساءَلة التي كانت سبب الإجابات أصلًا، إذ لا يمكن للخطيب أن ينطلقَ في كلامٍ دون أن يبنيه على تساؤلات المستمعين المتوقَّعة، فالجمهور ليس على نسقٍ واحد في مستواه، ولا في حضوره ولا في مدى تفاعله[31].

2 الحجاج اللغوي مع ديكرو وأونسكومبر.

1.2 خلفية التداولية المدمَجة:

في وسط القرن الماضي كانت البنوية قد سادت في العالم وأحاطت بجوانب البحث اللغوي تماما، لكنها وقفت عند مشكل صعب وهو عجزها عن الوصول إلى كلِّ المعنى بسبب

إهمالها لسياق الكلام في الدراسة، واقتصارِها في ذلك على بنيته وتركيبته وكانت المدرسة اللغوية البنوية قد بدأت تناقش هذا المشكل عبر حواراتِ كبارِ لغوِيِّيها فيما بينهم[32]، أمثال بنفينيست (Émile Benveniste) وسورل (John R.Searle) وأوستين (John L.Austin) وديكرو وغيرهم، وبدأت تتأكد من أهمية وضرورة إضافة بعض الاعتبارات السياقية إلى المعطيات البنوية عند الدراسة كإجراءٍ استدراكي، وأنّه يجب دمج بعض المفاهيمِ التداولية في المفاهيم البنوية لأن كثيرا من المعاني لا تنضبط ولا تُفهم إلّا بعد أخذ الإشارت السياقية بعين الإعتبار مع المعاني التي تفرضها البنية اللغوية، فنتجت بذلك التداولية المدمجة التي استفادت من نظرية أفعال الكلام لأوستين ومن البحث البنوي اللغوي، ولأَن التداولية مرتبطةٌ باستعمال الكلام وتأثيراته لم يكن الحجاج بعيدا عنها، بكونه يهدف إلى الإقناع الذي هو جزء من التأثير في الأصل، وهذا ما يُبدي أن الحجاج محتوى في التداولية[33].

2.2 مُرتكَزات التَّداولية المُدمَجة:

كان بيرلمان قد أعاد إخراج نظرية الحجاج الأرسطية وقام بتعديلها وتهذيبها وتوسيعها معتمدا على الاستدلال والحجج الطبيعية التي لها علاقة بالواقع[34]، ولا تتصل باللغة اتصالا مباشرا، أما ديكرو وأنسكومبر فقد بحثا عن الحجاج في بنية اللغة لأنهما اعتقدا أن الهدف الأول للكلام هو التأثير، وبما أنَّ الحجاج لا ينفكُّ عن التأثير فإن ما يحمل الحججَ هو البنية اللغوية ذاتها "لأنَّ ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنما هو ترابطٌ حجاجيٌّ مسجَّل في أبنية اللغة بصفته علاقاتٍ توجه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون قول"[35] ثم إن مشروعهما يقوم أيضا على (رفض وجود انفصالٍ بين دلالة الجملة مجردةً، ودلالة استعمال الجملة في المقام)[36] فهو يقوم على أمرين هما:

- الاعتقاد بأن **الحُجج مسجَّلَةٌ في اللغة** أصلا.
- دمج المعنى **الأساسي** للجملة في شكلها النموذجي النحوي المجرد مع المعنى **الإضافي** الذي تكتسبه تلك الجملة حسب كل مقامٍ تُقال فيه.

وللتوضيح أكثر نقول، يفرق ديكرو بين:

- العبارة حينما تكون جملة لها معنى أساسيّ أصليّ تفرضه اللغة أو التركيب.
- العبارة حينما تكون ملفوظا له معنى إضافي يفرضه كلُّ استعمال أو سياق.

مثال: عبارة (إنها الساعة 00:00)

- معناها الأساسي الوحيد: هو منتصف الليل ..... (نفهمهُ من اللغة)
- معناها الإضافي المتعدد هو: - تأخَّر الوقت
  أو - لم يتأخر الوقت
  أو - سأشاهد المقابلة
  .....(نفهمها من السياق)

وأساس العلاقة بين هذين المكوِّنَين هو السيطرة على تعدُّد الاستعمالات في المقامات المختلفة وذلك بأن تكون:

- للمكوِّن اللغوي قدرةٌ على التكهن بدلالةِ المعنى البلاغي - السياقي-.
- وللمكوِّن البلاغي - السياقي - قُدرةٌ على تحديد معنى المكوِّن اللغوي.

وذلك بالنَّظر في المعاني المتضمَّنة في القول[37] إما باقتضاءاتٍ مُسبقةٍ[38] أو بأقوالٍ مُضمَرة[39].

فكان تركيز الباحثين في بناء حِجاجهما على المقدمة والنتيجة داخل القول وذلك عن طريق:

- اعتبارِ القول الصَّريح للمتكلم مقدمة وحجة.
- واعتبار القول الصريح أو الضِّمني للسامع نتيجةً وتسليمًا[40].

ونمثل لما سبق بقول المتكلم: (لا أحدٌ وصلَ إلَّا عليٌّ)[41] -كمقدمة أو حجّة- فهو قول يتضمن أقوالا عديدة منها:

- وصل عليٌّ.
- هناك موعدٌ.
- نحن ننتظر الباقين.
- قد يصل الباقون.
- قد لايصل الباقون.

النتيجة أو التسليم.

ومن أجل نتيجة عامة نقول: إن الحجاج في منظور ديكرو وانسكومبر هو أن يقدِّم المتكلم قولا يجعل المخاطَب يقبل قَولًا آخر (صريحا أو ضمنيًّا) انطلاقا من قيودٍ لغوية تحكم القولَ الأول، وتلك القيود هي ما يسجِّل الحجاج في بنية اللغة.

3.2 الترابط الحجاجي:

يعتقد المؤلفان "أنَّ مشروع التداولية المدمجة هو بناء دلالة الخطاب المثالي، بصياغتها انطلاقا من المظاهر اللغوية التي تُوجِّهها أبنية اللغة عند القائل، أما كون هذا الخطاب مثاليا فمردُّهُ إلى أنه نِتاج المسَلَّمات والقواعد التي تعتمد عليها **آلة تَكوين الدلالة**"[42].

لذلك يكون تماسك الحجج وترابطُها بشكلٍ مُنسجِمٍ، معيارا مُهما لقوّةِ الحجة اللغوية ونمثِّل لذلكَ بالجملتين الآتيتين[43]:

- فلان لم يقرأ و " هو " سيفيدك (صحيحة نحويًّا وغير منسجمة دلاليًّا)
- فلان لم يقرأ، " لكنه " سيفيدك (صحيحة نحويًّا ومنسجمة دلاليًّا)

الجملة الثانية أقوى حُجية وتأثيرا من الجملة الأولى، وقد حكمنا بذلك من خلال الفرق في مدى الانسجام والترابط الحجاجيِّ، وكان هذا الحكم مستنِدًا على دليل لغَويّ مَوضعُه هو (لكنه – هو) في الجملتين، رغم أنَّ كليهما صحيح نحويّا، فالحجاجُ عند الباحثين منوطٌ بالعلاقات التي تربط الحجج اللغوية والأقوال، وبها نستدلُّ على الانسجام وقوَّة المحاججة.

لذلك يقول الباحثان " تطرح قضية الترابط الحجاجي إشكالية أساسية بالنسبة إلى بِنَويَّة الخطاب المثالي، ومَدارُها على التَّساؤُل عن القواعد والمبادئ التي تجعل سلسلة من الأقوال متماسكة، وعن القيود اللغوية التي تُكوّن شروطا للربط بين قول وآخر... التداولية المدمجَة تقتصر على مقاربة النَّص لُغويّا، مُعتبِرة أنّ أبنية اللّغة ذاتها هي التي تضبط خصائص الأقوال فتنضبط بعد ذاك خصائص تسلسلها وتناسقها"[44].

4.2 السَّلالم الحجاجية:

بعدما عرضنا تقرير الباحثَين لقضية المقدمة والحجة في القول الأوّل والتي تستلزم النتيجة في القول الثاني، نضيف عرض ملاحظتهما لقضية تعدد وتَراتُبِ الأَقوال الدَّاعمة – حسب تفاوتها في القوة – لنتيجة واحدة، وهي الملاحظة التي استكملا بها ثاني أهمِّ ما في السُّلم الحجاجي.

يقول الباحثان " تنطلق نظرية السَّلالم الحجاجية من إقرار التلازم بين قول المقدمة وقول النتيجة في عمل المحاجَّة "[45] ويقولان أيضا "والمهم هنا هو أنَّ الحجج لا تتساوى ولكنها تترتَّبُ في درجاتٍ قوةً وضعفًا، ومَأْتى هذا التَّرتيب هو أنَّ الظواهر الحجاجية تتطلب دومًا وجود طرف آخر تقيم معه علاقة استلزام"[46].

لذلك نجد في نظرية السَّلالم الحجاجية: مقدِّمة **بِحُجج متعددة متراتبةٍ** حسب القوة ثمّ نتيجة مستلزمة، حيثُ أنَّ الاقتناع والتَّسليم يكون قد سبَّبه **تلازم المقدمة مع النتيجة** لكنه يختلف في درجته حسب **عددِ الحُجج وصحة تراتُبها** في سبيل إثبات نتيجة واحدة ولهذه السَّلالم قوانين نذكر منها:

1.4.2 قانون الترتيب والقَلب[47]: ونمثّل له بالجملتين الآتيتين:

- جملة المقدمة(الحجج): خالد ليس له دكتوراه ولا ماجستير ولا حتى ليسانس.
- جملة النتيجة(التسليم): خالد غير مؤهلٍ أبدًا.

فلو قلنا "خالد ليس له شهادة ليسانس" مباشرةً –دون تعديدٍ وترتيب– لَنقص إقناع وتأثير جملة النتيجة.

ويمكننا قلب المثال لعكس النتيجة بقولنا:

- جملة المقدمة (الحجج): خالد عنده شهادة ليسانس والماجستير، بل والدكتوراه.
- جملة النتيجة (التسليم): خالد مؤهَّل حقًّا.

فلو قلنا "خالد له شهادة الدكتوراه" مباشرةً –دون تعديدٍ وترتيب– لَنقص إقناع وتأثير جملة النتيجة أيضا.

2.4.2 قانون النَّفي[48]: وفيه إن كانَ { إثباتُ المعنى (أ) يدعم إثبات المعنى (ب) / فإنَّ نَفْيَ المعنى (أ) يدعم نفي المعنى (ب) }

ومثله قولنا: علي مجتهدٌ ..... لقد نجح عليٌّ
علي ليس مجتهدا..... لم ينجح عليٌّ

3.4.2 قانون الخفض[49]: ويوضِّح هذا القانون الفكرة التي ترى أنَّ النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا لعبارة (أقل من كذا) أو تقتضي ما تحتهُ، كمثل قولنا:

التلميذ ليس ممتازا وهذا يقضي أنه أقل من ذلك (أو ما تحته) فهو حسنٌ أو متوسط أو ضعيفٌ، فهناك تدرُّج وسُلَّميَّة.

5.2 الروابط والعوامل الحجاجية[50]:

عرفنا أنَّ ديكرو يبحث عن الحُجج المسجَّلة في بِنيَةِ الخطاب الذي يُتَّجه به إلى الإقناع والتَّأثير و"ما يصنع هذه الوجهة الحجاجية هو المُكوّنات اللّغوية المختلفة للجملة التي تحدِّد معناها وتضيِّق أو توسِّع من احتمالاتها، وهذه المكوّنات اللغوية هي التي تحدِّد طرُق الرَّبط بين النتيجة وحُجَّتها ... وهي تنقسم إلى (روابط بين الأقوال) من عناصر نحوية مثل أدوات الاستئناف و(عوامل مؤثرة في المعنى) مثل الحصر والنفي والمقاربة"[51].

1.5.2 الروابط: هي عناصر نحوية تربط بين قولين أو حُجَّتين أو أكثر مثل: (الواو – الفاء – إذا – لأنّ –ـَ لكنَّ – بما أنَّ...) فدخول واحدٍ من هذه الروابط على جملة معينة يستدعي حضورَ جملة بعدها، مثال (سعَيت لأنَّ السّعيَ واجب)

فهمت الأسئلة فـ أجبت عنها
↑ ↑ ↑
المقدمة الرابط النتيجة

2.5.2 العوامل[52]: وهي ما يدخُل على القول ذي النتائج المحتمَلة الكثيرة (جملة مفتوحة) فتقيّدُهُ لتنحصر احتمالاتُه باتجاه الإقناع المطلوب.

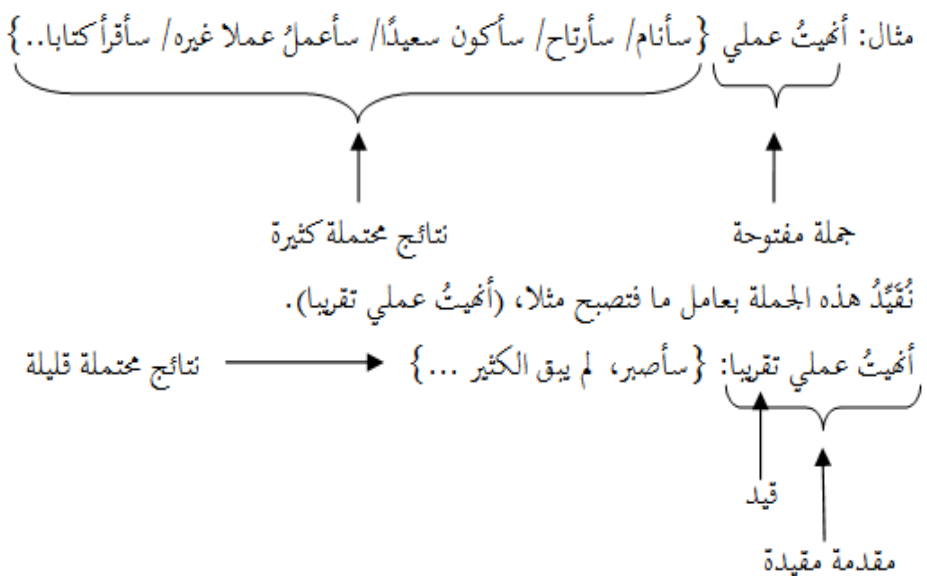

خاتمة:

نستخلص من مبحث **الحجاج ونظرية المساءلة** النقاط الآتية:

1- ميشال مايير استخدم نظريةً في الخطاب للعودة بالفلسفة إلى مسارها الصحيح الذي تقوم فيه على التَّساؤل عنده فخدم الفلسفة بالبلاغة.

2- يشترك ميشال مايير مع بيرلمان في العودة إلى التراث اليوناني عند محاولة التجديد.

3- بقاءُ الخطاب السقراطي حيًّا ومحاوِرا عند الغربيين ومؤثرا في البلاغة الجديدة.

4- بيرلمان وميشال مايير يتفقان على مخاطبةِ العقل دون العاطفة، لكن الأول يخاطبه بالحجج مباشرةً، والثَّاني يخاطبه بالاستفزاز الذي يجعله يصنع الحُجج بنفسه.

5- السؤال عند مايير ليس موضوعا لسانيًا أو لغويًّا ولا يحدِّدُهُ شكل أو تركيب نحوي، بل هو فلسفي صرف.

6- اشتراك بيرلمان ومايير في معنى التدرُّج في الطُّمُوح الإقناعي.

7- اشتراك بيرلمان ومايير في استعمال الصورة البلاغية لكن الأول يوردُها حُجة تداولية ومايير يقدّمُها قادحًا فلسفيًّا للفكر.

8- ميشال مايير يعطي لعناصر الخطاب الثلاث (إيتوس، لوغوس، باتوس) القيمة نفسها في إنشاء ودفع الخطاب.

9- أشكالُ الإقناعِ عند مايير مختصرةٌ في عنصرين فقط (الصورة البلاغية/العلاقات الخطابية)، بسبب النَّظرة الفلسفيّة الكليَّة، عكس ما هو عند بيرلمان فهي مفصلة ومتعددة تحت تأثير المنهج المنطقي في التقسيم.

ونستخلص من مبحث **الحجاج اللغوي مع ديكرو وأونسكومبر** النقاط الآتية:

1- حجاج (ديكرو وأنسكومبر) فيه أدلة لغوية مسجَّلة في بنية اللغة لم تكن مطروحة في البلاغة الجديدة مع بيرلمان.

2- حجاج الباحثَين هو تداولية مدمجة نقوم فيها بدمج المعنى الأساسي البنوي مع المعنى الإضافي السياقي.

3- الحجاج اللغوي للباحثَين يستعمل حُججا شبه منطقية مثل حِجاج بيرلمان، ويظهر ذلك في السلَّم الحجاجي الذي يستعمل التعديدَ ويقوم على الترتيب، وهو فكرة منطقية.

4- الحجج المستعملة في الحجاج اللغوي سياقية.

5- حججُ التداولية المدمجة نسبيةٌ في الإثبات، ويقتنع بها السامعون على درجات.

6- الحجج اللغوية قابلة للإبطال بسبب عدم استنادها للمنطق الصارم عكس بلاغة أرسطو.

7- مع التّداولية المدمجة تأكَّد تقاطع الحجاج مع التداولية أكثر.

الهوامش والإحالات:

[1] السوفسطائيون اسم يطلق على أعضاء حركة ثقافية وُجِدت في المدن الإغريقية في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، وهم أساتذة رحّالون يُدَرِّسون قواعد اللغة، وفنَّ الخطابة الذي كان مهمًّا في ظل الأنظمة الديمقراطية القديمة التي سائدت في أثينا.

[2] ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، منشورات ضفاف، الرباط – المغرب، ط1، 2013، ص29-36.

[3] أكاديمي بلجيكي (1912-1984)، أستاذ بجامعة بروكسل، مؤسس البلاغة الجديدة، من مؤلفاته: "البلاغة والفلسفة" (1952)، و"حقل الحجاج" (1969)، و"الإمبراطورية البلاغية" (1977).

[4] ميشال مايير فيلسوف وأستاذ جامعي بلجيكي ولد سنة 1950 بدأت تظهر أفكاره في سنوات السَّبعين، استوعب كل أفكار أستاذه بيرلمان وأضاف إليها رؤية بلاغية جديدة تتأسس على علاقة السُّؤال بالخطاب وتبلورت في شكل نظرية سمَّاها نظرية المساءلة، وهو مدير مجلة تسمى المجلة الدولية للفلسفة ويشرف على سلسلة تسمى تساؤلات فلسفية.

[5] لساني فرنسي ولد عام1930، أحد أبرز المساهمين في الدراسات المتعلقة بالتداولية والتلفظ ونظرية الحجاج اشترك مع جون-كلود أنسكومبر في بلورة نظرية الحجاج في اللسان التي تقول بانتشار الحجاج، ضمن الخطاب من خلال إعمال الإمكانات اللغوية بل وعلى مستوى اللسان نفسه .

[6] يُنظر: محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة (مقال) في كتاب: أهم نظرّيات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، مجلد xxxix، دط، دس، ص387-389.

[7] Meyer.m, Quetions de rhetorique, parise, le liver de poche, 1990, p 143.

[8] ينظر: نفسه ص390.

[9] ينظر: نفسه ص390.

[10] ينظر: نفسه 391.

[11] ينظر: محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، 2008، ص42.

[12] ينظر: حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح (مقال) في كتاب: أهم نظرّيات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، مجلدxxxix ، دط، دس، ص 12،13.

[13] ينظر: أهم نظريَّاتِ الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص392.

[14] ينظر: Meyer.m, logique longage et argumentation, hachette, 2, Ed, paris, 1982, p112.

[15] ينظر: نفسه، ص 392.

[16] "ويُعد فعلُ التَّفكير هنا في الفَهمِ التَّدَاوُلِي فِعلا كلامِيًّا ناتجًا عن القول، غير أنَّنا لم نسمع أحدًا من التَّداوليين يذكره من قبل، مثلما ذكروا الإقناع والاستفزاز... وغير ذلك، كأفعالٍ ناتجة عن القول" هذه ملاحظة ذكرها الأستاذ ميهوبي إبراهيم – محاضرات الحجاج، جامعة الأغواط، 2016- في إحدى محاضراته لنا ولا أدري إن كان قد سَجَّلها في بحث ما.

[17] ينظر: أهم نظريَّاتِ الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص393.

[18] الكلام بين المعترضتين زائد عن التعريف الأصلي وقد أُدرجَ لبيان أهميَّة الأجوبة المحتملة مهما كانت.

[19] ينظر: Quetions de rhetorique, p 22.

[20] هذه الثنائية هي طرفا المحاججة، وهي تتقاطع مع ثنائية (المعنى البنوي، والمعنى السياقي) في التداولية المدمجة لديكرو، وثنائية (الضِّمني والمُصَرَّح به) تضم مفهومين مقترنين في التداوليَّة وعلمِ الأصول وفي البلاغة أيضًا عند القدامى، يصنعان نقطة تداخل وتقاطع بين هذه العلوم في بعض المفاصل.

[21] أهمُّ نظريات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 394.

[22] وهو هنا يلتقي بأفكار التداوليين سورل وديكرو واريكيوني وغرايس وغيرهم.

[23] أهم نظريَّاتِ الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم ص397.

[24] يُنظر: عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة (مقال) في كتاب: أهم نظريَّات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، مجلد xxxix، دط، دس، ص 299.

[25] ينظر: نفسه ص 395-396.

[26] مثالٌ عن الكلامِ الحامِلِ لقُدرةِ الفِكرَةِ عَلى المُساءَلَة في شكله الأوَّل وهو (الصورة البلاغية)

[27] محاولة فَهمٍ وتقريبٍ للمثال نفسه الذي أورده محمد على القارصي في الكتاب نفسه ص396-397.

[28] أهمُّ نظريات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص397.

[29] جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3، 2003، ج 3، ص 56 (الآية 24 ابراهيم).

[30] أهمُّ نظريَّات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 398.

[31] ينظر: نفسه ص 398-400.

[32] ينظر: فطومة لحمادي، مقال: السياق والنص – استقصاء دور السّياق في تحقيق التماسك النّصي – مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر) جانفي – جوان 2008، ص243.

[33] ينظر: صابر الحباشة، الحجاج في التداولية (مدخل إلى الخطاب البلاغي)، دار النشر ثقافات – البحرين المنامة، ط24، 2011، ص3.

[34] الحجج الطبيعية تقابلها الحجج الصوريَّة المنطقية الصرفة المجردة التي لا تتصل بالواقع.

[35] شكري مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة (مقال) في كتاب: أهم نظرّيات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، مجلدxxxix ، دط، دس، ص 352.

[36] ينظر: أهم نظريَّاتِ الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص351.

[37] ينظر: نفسه ص356.

[38] الاقتضاءاتُ المُسبَقَةُ هي ما يقتضيهِ الكلامُ مباشرةً مثل قولنا (أغلق النَّافذة) هذا يقتضي أنَّ النافذة مفتوحة، فهذه البِنية الكلاميَّة توحي بذلك، وتعطي المتكلم والسَّامع أرضيَّةً مشتركة ينطلقان منها، ينظر: نفسه ص372-374.

[39] الأقوالُ المضمرة مثال: ﴿ فَتَحرِيرُ رقَبَةٍ مُؤمِنَةٍ ﴾ تقدير الكلام هو: فتحرير رقبة (مَملُوكَةٍ) مؤمنة، فكلمة مَملُوكَةٍ مضمرة في الآية.

[40] ينظر: أهمُّ نظريات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 360-361.

[41] استعمل شكري مبخوت تمثيلا يشبه هذا التمثيل ص356 قمتُ بتعديله واستعماله.

[42] ينظر: أهم نظريَّاتِ الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص359.

[43] هذا المثال مُستوحى من مثالٍ يُشبِهُهُ في الكتاب نفسه ص379.

[44] أهمُّ نظريَّاتِ الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص371.

[45] ينظر: نفسه ص363.

[46] نفسه، ص364.

[47] نفسه، ص365.

[48] نفسه، ص368.

[49] نفسه، ص370.

[50] ينظر: نفسه ص375 – 383.

[51] ينظر: نفسه ص376-377.

[52] هذهِ العوامل كأنَّها تُشبه العوامل النَّحويَّةَ -في حروف المعاني مثلا- التي تؤثر في العلامة الإعرابية كما هي تؤثر على المعنى بحصر وتقييد الدَّلالاتِ والإمكانات الحجاجية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم رواية حفص.

2- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3، 2003، ج3.

3- حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح (مقال) في كتاب: أهم نظرّيات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، مجلدxxxix ، دط،دت.

4- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، 2008.

5- محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة (مقال) في كتاب: أهم نظرّيات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، مجلدxxxix، دط، دت.

6- عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة (مقال) في كتاب: أهم نظريَّات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، مجلدxxxix ، دط، دت.

7- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، منشورات ضفاف، الرباط – المغرب، ط1، 2013.

8- فطومة لحمادي، مقال: السياق والنص – استقصاء دور السّياق في تحقيق التماسك النّصي – مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر) جانفي – جوان 2008.

9- صابر الحباشة، الحجاج في التداولية (مدخل إلى الخطاب البلاغي)، دار النشر ثقافات – البحرين المنامة، ط24، 2011.

10- شكري مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة (مقال) في كتاب: أهم نظرّيات الحجاج في البلاغة الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، مجلدxxxix ، دط،دت.

11- Meyer.m, Quetions de rhetorique, parise, le liver de poche, 1990.

12- Meyer.m, logique longage et argumentation, hachette, 2, Ed, paris, 1982.